بسم الله الرحمن الرحيم

«رَبِّ هَب لِي حُكمًا وَأَلحِقنِي بِالصَالِحِينَ* وَاجعَل لِي لِسَانَ صِدقٍ فِي الأخِرِينَ* وَاجعَلنِي مِن وَرَثَةِ جَنَةِ النَّعِيمِ»

(سورة الشعراء، آيات ٨٣ – ٨٥)

إهداء إلى:

أمي الغالية...

زوجتي وولداي يوسف ومحمود

متعك الله بالصحة والعافية وبارك فيكم دائماً أبدا

المقدمة

تعددت الدراسات التاريخية التي عالجت العصور الوسطى، وبخاصة عصر الحروب الصليبية الذي نجح في جذب الكثير من الدارسين لإفناء أعمارهم في معالجة قضاياه المختلفة، ولذا فقد فاقت هذه الفترة غيرها في كمّ المعالجات التي تعرضت لها. فإذا نظر الباحث إليها سيفطن إلى أنها بدأت - كعادة الدور الريادي - في إطار العموم السياسي ثم تفردت بعدئذ لمعالجة قضايا بعينها، وفي مرحلة تالية اتجهت إلى الجوانب الحضارية؛ فراراً من فوران مرجل الأحداث السياسية وتقلباتها، مما دعا إلى بروز فكرة كادت تطغى على هذه الفترة وتجحف بها شأنها في ذلك شأن غيرها من الحقب التاريخية، وهي فكرة أنها "قُتِلَت بحثاً".

ولا ريب أن دحض هذا الرأي ينبع من طبيعة عمل الباحث –وبخاصة في المجال التاريخي- الذي يسعى من خلال منهجي التحليل والمقارنة إلى إبراز رؤى جديدة في الموضوع ذاته، فإذا أضيف بروز تيارات فكرية جديدة نتيجة للحوار بين الباحثين في الشرق والغرب، وما يصاحب تطور دراسة فرع ما، من الاتجاه الشمولي العام إلى التخصص الدقيق في دراسة موضوعات صغيرة في مداها الزمني، سواء دُرِست من قبل ولكن في إطار أعمّ وأشمل أم لم تُدرس دراسة وافية تبين ما في هذا الرأي من ظلم لهذه الفترة.

وإذا كان من دواعي دراسة العلوم - بما في ذلك الدراسة التاريخية - دراسة موضوع ما سبقت دراسته في شيء من التبعية والتلازم لما سبقه من أحداث وما تلاه من مؤثرات فقد رأى الباحث في دراسة "السياسة الخارجية لمملكة بيت المقدس في عهد الملك عموري الأول ١١٦٣-١١٧٤م/٥٥٨-٥٦٩هـ) Amaury I" موضوعاً لم يَسبِق دراسته في إطار مستقل وذلك في محاولة للكشف عن تداعيات فترة مهمة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب.

فعلى الرغم من قصرها الزمني فإنها عجَّت بالكثير من الأحداث الكبرى وامتلأ وعاء الزمن خلالها ببعض الشخصيات التي سَلَسَ لها قياد أحداث الحركة الصليبية، ومنهم الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول كومنينوس(١١٤٣-١١٨٠م) Manuel I

والملك الفرنسي لويس السابع (١١٣٧-١١٨٠م) Louis VII والملك الإنجليزي هنري الثاني (١١٥٤-١١٨٩م)Henry II، والإمبراطور الألماني فردريك بربا روسا (١١٥٢-١١٩٠م) Barbarossa Frederick، والبابا ألكسندر الثالث (١١٥٩-١١٨١م) Alexander III ونورالدين محمود (١١٤٦-١١٧٤م/٤٥١-٥٦٩هـ) وصلاح الدين الأيوبي.

وفيما يخص أهمية الدراسة وجدواها فقد ترسخت خلال فترة حكم الملك عموري فكرة ضعف الملكية على المستوى الداخلي، بحيث ازداد نفوذ طوائف الفرسان الرهبان، وضعفت سيطرة الملكية على البارونات، وتباعدت الروابط بين الإمارات الصليبية التي أضحت لا تعير الاهتمام إلا لمصالحها الخاصة، مما أدى إلى رجحان الكفة الإسلامية، كما قبلت المملكة اللاتينية ما سبق ورفضته من التخلي عن السياسة الحذرة تجاه الإمبراطورية البيزنطية في مقابل حصولها على الدعم السياسي والعسكري، وكانت أنطاكية هي الثمن الذي قدمه عموري للبيزنطيين ككبش فداء عن المملكة ذاتها.

ومن جهة أخرى انتهج الملك عموري الأول سياسة أسلافه في التوسع الإقليمي، حينما وضع الاستيلاء على مصر نصب عينيه، بوصفه عملاً يضمن عدم انهيار المملكة، وعليه فإنه سخّرَ علاقاته السياسية الخارجية لخدمة هذا الغرض، فبعث باستغاثات شبه سنوية إلى الغرب لأجل ذلك، وتفاوض مع الإمبراطورية البيزنطية وتغاضى عن ازدياد نفوذها في أنطاكية في مقابل إمداده بمعونة عسكرية للاستيلاء على مصر.

وحينما كاد عموري يحقق فيها ما يُمكّنه من السيطرة على مقدراتها عام ١١٦٧م/٥٦٢هـ فإنه لفظ المساعدة البيزنطية وتجاهل معاهدته مع أباطرتها حتى ينفرد بمصر، وحينما فشلت حملته الفردية عليها عام ١١٦٨م/٥٦٤هـ فإنه عاود الاستغاثة بالغرب وتعمد إفشال حملته مع الإمبراطورية البيزنطية على دمياط عام ١١٦٩م/٥٦٥هـ، تجنباً لما قد يترتب على وجود الإمبراطورية على مقربة من المملكة في مصر وحرصاً منه على الانفراد بها عن بيزنطة.

واضطر عموري صاغراً بعدئذ إلى التماس مساعدة الإمبراطورية بعد عامين من حملة دمياط، وذلك لخدمة سياسته التوسعية في مصر أيضاً بعد إدراكه لما يواجهه من صعوبات من قبل كل من نورالدين في بلاد الشام وصلاح الدين في مصر، وبسبب تيقنه من عجز الغرب عن السمو فوق مشاكله كي يتفرغ لمساعدة المملكة وسياستها التوسعية، ومن جهة أخرى شتت الأخير جهود مملكته في تحركات عسكرية أخرى إرضاء للإمبراطورية وذلك بقيامه بمهاجمة مليح الأرمني عدو الإمبراطورية، مما أهدر قواه دون الحصول على مساعدة الإمبراطورية التي صارت مشغولة بالدفاع عن حدودها الغربية والشرقية آنذاك.

ومن الأمور التي شجعت الباحث على دراسة هذا الموضوع عدم إفراد دراسة قائمة بذاتها في المكتبة العربية لمعالجته من جهة السياسة الخارجية في بحث مستقل، وجل ما قدمته الأعمال العلمية السابقة دراسات عامة، سواء في الدراسات العربية أم الأجنبية التي تناولت عصر عموري على وجه العموم في إطار دراستها لسياسة المملكة الخارجية، أو ركزت على جانب واحد من سياسة الملك وأغفلت جوانب أخرى.

ولعل من أهم ما كُتب عن الملك عموري منذ فترة بعيدة ما قام به جستاف شلمبرجيه Gustave Schlumberger في دراسته التي حملت عنوان "حملات الملك عموري الأول على مصر"، وهي دراسة قيمة من عدة نواح، أولها اعتماد شلمبرجيه على معظم المصادر العربية التي عالجت موضوعه، كما اتسمت رؤيته بالشمولية، وتعرض لقضايا كثيرة ضمن سياسة عموري الخارجية.

بيد أنه بقدر ما اعتمد شلمبرجيه على المصادر العربية بقدر ما أغفل منبعاً مهماً لا غنى عنه لدراسة سياسة عموري وهي الوثائق الملكية بما في ذلك مراسلات عموري إلى الغرب وبخاصة خطاباته إلى الملك لويس السابع، وعلى افتراض أنه استفاد منها فإنه لم يعتمد على منهج واضح في توثيقه لمادته التاريخية مما أفسد من رونق عمله، ولا ريب في أن دراسته تحملت صعوبة الدور الريادي، وأنه اجتهد في

ضوء ما أتيح له لتقديم عمل قيم[١].

وحينما كتب روهرشت Rohricht بحثاً عن عصر الملك عموري فإنه كان من الصغر بما لم يتسع له لمناقشة قضايا شائكة في سياسة الملك عموري، وبخاصة أنه حاول أن يقدم عموري في إطار وصفي سردي، ولم تكن لتكفي دراسته وحدها لسد كافة أوجه سياسة عموري[٢]. أما رالف جوهانوس لِيلِيLilie فإنه اجتهد في كتابه"بيزنطة والدول الصليبية" في تقديم ملحق لدراسته تحت مسمى "مشروع التحالف الصليبي البيزنطي للاستيلاء على مصر(١١٦٥-١١٧٧م)"، وهو ملحق على درجة كبيرة من الأهمية؛ لأنه بذل فيه جهداً كبيراً بحيث يمكن إعداده موضوعاً تحليلياً من الدرجة الأولى، وبالرغم من قصره الشديد فإنه عالج فيه عدة قضايا من سياسة عموري تجاه بيزنطة، واستخدم معظم الوثائق والمصادر المتاحة ببراعة لخدمة رؤيته في قضية تحالف عموري مع بيزنطة، ونقد في موضوعية العديد من الآراء السالفة، بيد أن بحثه لم يغط سوى جانب بسيط من علاقة عموري ببيزنطة ناهيك عن الجوانب الكثيرة الأخرى[٣].

ومن ناحية أخرى قدم بعض الباحثين دراسات قصيرة إلى حد ما في بعض نواحي سياسة عموري الخارجية، منها دراسة جون لامونت John La Monte التي حملت عنوان "إلى أي مدى كان الإمبراطور البيزنطي سيداً للدول الصليبية" متخذاً من عصر عموري أساساً لدراسته، ولكنه لم يُشر إلى العديد من الإشكاليات الأخرى

---

(١) انظر:

Schlumberger, G., Campagnes du Roi Amaury I de Jérusalem en Egypte, (Paris, 1906).

(٢) انظر:

Rohricht, R., "Amalrich I Koig von Jerusalem", *Miabeilugem des Institus fur Osterreicbiscbe Gescbicisfasrschung*, XII,(1891), pp. 432 – 481.

(٣) انظر:

Lilie, Ralph-Johannes, *Byzantium and the Crusader States, 1096-1204: Studies in the Relations of the Byzantine Empire With the Crusader States in Syria and Palestine,* Trans.by J. C. Morris and J. E. Ridings, (Oxford,1993).

التي عج بها عصر عموري[١]، وهكذا كانت دراسة ستيفن رنسمان Steven Runciman أيضاً عن "زيارة الملك عموري للقسطنطينية عام ١١٧١م/٥٦٦هـ" التي اقتصر دورها على معالجة مسألة زيارة عموري لبيزنطة وما ترتب عليها من إثارة عدة قضايا أهمها قضية اعتراف عموري بالسيادة لبيزنطة[٢].

هذا عن المؤلفات العلمية الأجنبية أما عن المؤلفات العربية الرائدة عن فترة حكم الملك عموري فمنها دراسة حسن حبشي عن نورالدين محمود التي أفرد فيها فصلاً عن صراع نورالدين مع الملك عموري على مصر[٣]، وكذا كانت دراسة محمد مؤنس عوض عن نورالدين محمود الذي ركز أغلب بحثه على السياسة الداخلية لنور الدين، مكتفياً بتقديم ملخص عن علاقة عموري بنور الدين[٤].

ومن الدراسات العربية الأخرى السابقة دراسة محمود سعيد عمران عن "السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عصر الإمبراطور مانويل الأول كومنينوس" التي أفرد فيها فصلاً كبيراً عالج فيه علاقة مانويل بالمملكة الصليبية في عصري بلدوين الثالث وعموري الأول[٥]. كما قدم عمران دراسة حملت عنوان "حصار عموري للإسكندرية عام ١١٦٧م/٥٦٢هـ"، خلال الحملة الثالثة للملك

---

(١) انظر:

La Monte, J.L.,"To What Extent was the Byzantine Emperor the Suzerain of the Crusading States?" *Byzantion*, 7, (1932), pp.253–264.

(٢) انظر:

Runciman, S., "The visit of King Amalric I to Constantinople in 1171", (eds.)B.Z.Kedar, H. Mayer, and R.C.Smail,Outremer: *Studies in the History of the Crusading Kingdom of Jerusalem presented to Joshua Prawer*, (Jerusalem,1983), pp.153–158.

(٣) انظر: حسن حبشي: نورالدين والصليبيون، القاهرة، ١٩٤٨م.

(٤) راجع: محمد مؤنس عوض: في الصراع الإسلامي الصليبي، السياسة الخارجية للدولة النورية، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٨م.

(٥) راجع:محمود سعيد عمران: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل الأول ١١٤٣–١١٨٠م، دار المعارف، القاهرة، ١١٨٠م.

عموري على مصر[1]، وكذا دراسة فايز نجيب إسكندر عن معركة البابين تحت عنوان "الصليبيون والفاطميون والزنكيون في معركة البابين عام ١١٦٧م/٥٦٢هـ"[2].

وقد أفاد الباحث من الآراء القيمة التي حملتها تلك الدراسات العربية منها والأجنبية، وفتحت له آفاق لرؤى جديدة في معالجة سياسة الملك عموري الخارجية.

وينقسم موضوع الدراسة إلى تمهيد وأربعة فصول يسبقها دراسة نقدية تحليلية مقارنة لأهم مصادر الدراسة ويعقبها خاتمة تشمل أهم نتائجها وقائمة بالمصادر والمراجع التي استعان بها الباحث. ويعالج التمهيد "سياسة المملكة الخارجية قُبَيلَ تتويج عموري" الملامح العامة لسياسة المملكة الخارجية قبيل اعتلاء عموري العرش، ولذا فقد تعرض لعلاقة المملكة بكل من الإمارات الصليبية والغرب الأوربي والبابوية والإمبراطورية البيزنطية والمسلمين في مصر وبلاد الشام.

يتناول الفصل الأول "حملات الملك عموري على مصر حتى عام ١١٦٧م/٥٦٢هـ" ملامح شخصية الملك عموري وبعض جوانب حياته الخاصة ودوره السياسي قبيل اعتلائه العرش وأهم ما اعترضه عند تتويجه، ثم يناقش أهم حملات عموري التي قام بها على مصر حتى عام ١١٦٧م/٥٦٢هـ، ومنها حملته الأولى التي قام بها عام ١١٦٣م/٥٥٨هـ التي تحرك بها عقب اعتلائه العرش مباشرة، وحملته الثانية عام ١١٦٤م/٥٥٩هـ التي نجحت في هدفها الأساس وهو طرد شيركوه من مصر دون أن يحقق فيها عموري نجاحاً مباشراً، ثم أعقبها عموري بحملته الثالثة عام ١١٦٧م/٥٦٢هـ التي تمكن خلالها من تحقيق بعض النتائج السياسة والدبلوماسية

---

(1) راجع في ذلك:

Omran., M.S., "King Amalric and the Siege of Alexandria 1167", Crusade and Settlement, Papers read at the first Conference of the Society for the Study of the Crusades and the Latin East, and presented to R.C. Smail, (ed.) Peter W.Edbury, (University College Cardiff Press, 1985).

(2) انظر: فايز نجيب اسكندر:"الصليبيون والفاطميون والزنكيون في معركة البابين ١١٦٧م/٥٦٢هـ"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، كلية الآداب- جامعة المنيا، عدد٤٨، أبريل، ٢٠٠٣.

المهمة في مصر.

ويناقش الفصل الثاني "المسألة المصرية في معترك الدبلوماسية الصليبية البيزنطية ١١٦٣-١١٦٨م/ ٥٥٨- ٥٦٤هـ" أهم العوامل التي جعلت عموري يتخذ موقفاً حذراً تجاه بيزنطة في بداية حكمه، ثم يتطرق لمناقشة بوادر المباحثات الصليبية البيزنطية وتعدد أطوارها ما بين زواج عموري من الأميرة البيزنطية مارية ومسألة تحالف عموري الدفاعي مع بيزنطة في شمال بلاد الشام وصولاً إلى وضع مشروع كامل لغزو صليبي بيزنطي مشترك لمصر، واختتم بمناقشة عوامل تجاهل عموري لمفاوضاته الجارية مع بيزنطة، بما تمثل في قيامه بحملة مفاجئة على مصر عام ١١٦٨م/٥٦٤هـ دون انتظار ما تتمخض عنه مفاوضاته مع الإمبراطورية ثم أهم نتائج الحملة.

ويتعرض الفصل الثالث "الحملة الصليبية البيزنطية على دمياط ١١٦٩م/٥٦٥هـ" لعدة قضايا أهمها إصرار عموري على تجاهل العرض البيزنطي والمعاهدة التي عقدها مع الإمبراطور مانويل بشأن غزو مصر عام ١١٦٨م/٥٦٤هـ، ومناقشة بواعث تخوف الملك من ازدياد النفوذ البيزنطي سواء في المملكة والإمارات الصليبية، أم بقلقه إزاء وجود البيزنطيين في مصر إذا ما تيسر لمانويل مشاركة عموري في غزوها، واُخْتُتِمَ بمناقشة عوامل اضطرار عموري إلى التحرك مع الإمبراطورية البيزنطية في العام ذاته صوب مصر في الحملة المشتركة على مدينة دمياط عام ١١٦٩م/٥٦٥هـ، وفي نهايته ناقش الباحث أهم أسباب فشل الحملة ونتائجها.

ويُشير الفصل الرابع "السنوات الأخيرة من سياسة الملك عموري١١٧٠-١١٧٤م/ ٥٦٦-٥٦٩هـ" إلى محاولات عموري الأخيرة لإنقاذ المملكة من الانهيار عقب تعرضها للضغوط العسكرية والسياسية من قبل كل من نورالدين على الجبهة الشمالية في بلاد الشام وصلاح الدين على الجبهة الجنوبية في مصر، حيث بدت سلبية عموري في التصدي لهما إلى أقصى حد، مما دفعه إلى التحرك على المستوى الدبلوماسي لالتماس المساعدة من الغرب الأوربي عامي ١١٧١م/٥٦٦هـ،

١١٧٣م/٥٦٨هـ، وتحرك عموري بعدئذ بقليل في سفارة إلى بيزنطة للغرض ذاته عام ١١٧١م/٥٦٦هـ.

وحينما لم تؤت تلك المحاولة أكلها فإنه حاول استغلال مفاوضاته مع الحشاشين للتحالف ضد المسلمين، علاوة على مشاركته للأفكار التي عرضتها عليه مؤامرة عمارة اليمني في القاهرة ضد صلاح الدين خلال عامي ١١٧٣-١١٧٤م/٥٦٨-٥٦٩هـ، ثم عرض الفصل لتحطم آخر محاولات الملك عموري في مصر بقضاء صلاح الدين على عناصر المؤامرة بالداخل وتصديه للأسطول الصقلي الذي هاجم الإسكندرية من الخارج. واشتملت الخاتمة على الخطوط البارزة في الدراسة وأهم القضايا التي ناقشها الباحث، يتلوها عرض النتائج التي توصل إليها، وحوت قائمة المصادر والمراجع ما استعان به الباحث في الحصول على المادة العلمية التي عالجت الموضوع.

ولا أدعي الكمال فيما حاولت الاجتهاد في تقديمه، ذلك أنني حددت لهذه الدراسة منهجاً منذ البداية وهو التحليل القائم على الاستقراء والاستنباط، بحيث تخرج الدراسة من الأسلوب السردي الوصفي الغالب على روح المصادر إلى الأسلوب التحليلي التجريدي للأحداث وتقديمها في صورة أرجو أن تكون قيمة ومحايدة.

وفي النهاية أقدم وافر شكري وتقديري إلى الأستاذ الفاضل والعالم الجليل ا.د/اسحق عبيد أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة عين شمس الذي حباني بعطفه، وسلاسة فكره، وعذوبة تأديبه وتوجيهه، فله شكري وامتناني، كما أُقدّم شكري إلى د/سعيد فرغلي مدرس تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة المنوفية.

وأشكر أيضاً العالم الجليل أ.د/فايز نجيب اسكندر أستاذ تاريخ العصور الوسطى ورئيس قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة بنها على ملاحظاته القيمة وتوجيهاته التي أضفت لمسة من علمه الواسع على هذا العمل المتواضع، كما يعجز لساني عن نطق كلمة الشكر المناسبة للعالم الجليل أ.د/حسين محمد عطية أستاذ تاريخ العصور الوسطى ورئيس قسم التاريخ ووكيل كلية الآداب جامعة طنطا الذي تابع دراستي لهذا

الموضوع وهو فكرة مجردة حتى أتممتها موضوعاً بعون الله.

كما أشكر أساتذتي وزملائي بقسم التاريخ بكلية الآداب جامعة المنوفية الذين كانوا نعم العون والدعم ولم يبخلوا بالرأي والنصح حينما احتجت إليهم، وأشكر أيضاً د/عبد العزيز محمد مدرس تاريخ العصور الوسطى بآداب عين شمس، وأشكر صديقي محمد فوزي رحيل الذي أمدني بمجموعة قيمة من الأبحاث التي عالجت عصر الحروب الصليبية. وأشكر أيضاً السادة أُمناء مكتبات آداب عين شمس، وجامعة القاهرة، والدراسات العليا بجامعة الإسكندرية، والمركز العلمي الفرنسي للدراسات الشرقية بالقاهرة، والمركز الدومنيكاني للدراسات الشرقية بالقاهرة، والمركز الفرنسسكاني للدراسات الشرقية بالقاهرة، والجامعة الأمريكية والمركز الأمريكي للبحوث بالقاهرة.

وأخيراً أوجه شكري الذي طالما أخفيته إلى أمي وأخوتي وزوجتي الذين دعموا خُطاي وتحملوا معي الكثير حتى خرجت هذه الدراسة إلى النور، فلهم شكري وامتناني وجزاهم الله عني خيراً. وإذا كان هذا هو نصيب الأحياء من الاعتراف بالفضل فإنني أوجه دُعائي بالرحمة والمغفرة إلى روح والدي وإلى روح أستاذي د/صبري أبو الخير جزاء فضلهما الذي لا يُنكرهُ إلا جاحد، فالله أسأل أن يتغمدهما بواسع رحمته.

اللهم هذا اجتهادي فإن وُفقتُ فبفضلك ونعمائك وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان.

والله من وراء القصد.